حكايات قبل النوم
(١)

حكاية الجرة

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

مع التائبين

أصابَ بنو إسرائيلَ قَحْطٌ علىٰ زمنِ موسىٰ عليه السلامُ ، فاجتمعَ الناسُ إليه ، فقالوا : يا كَليمَ الله! أُدْعُ لنا ربَّك أَنْ يَسْقِينا الغَيْثَ .

فقامَ معهم ، وخرجُوا إلىٰ الصّحراءِ ، وهم قرابةُ سَبعينَ ألفاً... .

فقال موسىٰ عليه السلامُ : إلـٰهي! اسقِنا غيثَكَ ، وانْشُرْ علينا رَحْمتَكَ ، وارْحَمْنا بالأطفالِ الرُّضّعِ ، والبهائمِ الرُّتَّعِ ، والمشايخِ الرُّكَّعِ..... ، فما زادتِ السماءُ إلا تقشُّعاً ، والشمسُ إلا حرارةً!!

فقال موسىٰ عليه السلام : إلـٰهي! إنْ كان قد

خَلَقَ جاهي عندك ـ أي أصبح جاهي عندك قديماً ولا فائدةَ منه ـ فجاء النبيُّ الأميُّ محمدٌ ﷺ الذي تَبْعَثُه في آخرِ الزمان!

فأوحىٰ اللهُ إليه : ما خَلَقَ جاهَكَ عندي ، وإنك عندي وَجيهٌ ، ولكنْ فيكم عبدٌ يُبارزني منذ أربعينَ سنةً بالمعاصي ، فنادِ في الناس حتىٰ يَخْرجُ من بينِ أَظْهُرِكُمْ ، فبه مَنعتُكم...

فقال موسىٰ عليه السلام : إلهيْ وسَيّدي! أنا عبدٌ ضعيفٌ ، وصَوتي ضعيفٌ ، فأين يَبلغُ وهم سبعونَ ألفاً أو يزيدون؟

فأوحىٰ اللهُ إليه : منكَ النِّداءُ ، ومنِّي البلاغ... ، فقام منادياً وقال :

يا أيها العبدُ العاصي الذي يُبارزُ اللهَ منذ أربعينَ سنةً! أُخْرُجْ من بين أَظْهُرِنا ، فِبكَ مُنِعْنا المطرَ!!

فقام العاصي ، فنظر ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمالِ ، فلم يَرَ أحداً خرج ، فعلمَ أنه المطلوبُ ، فقال في نفسه : إنْ أنا خرجتُ من بينِ هذا الخلقِ افتُضِحتُ علىٰ رؤوسِ بني إسرائيلَ ، وإن قعدْت معهم مُنعوا لأجلي... ، فأدخل رأسه في ثيابه نادماً علىٰ فعاله ، وقال : إلهي وسيِّدي! عصيتُك أربعينَ سنةً وأمْهَلْتَني ، وقد أتيتُكَ طائعاً فاقبلْني!

فلم يُتمَّ الكلام حتىٰ ارتفعتْ سحابةٌ بيضاءُ فأمطرتْ كأفواهِ القِرَبِ ، قال موسىٰ عليه السلام : إلـٰهي وسيِّدي! بماذا سَقَيْتَنا وما خرجَ من بين أَظْهُرِنا أَحَدٌ؟

فقال : يا موسىٰ! سَقيتُكم بالذي به مَنَعْتُكُم .

فقال موسىٰ : إلـٰهي : أَرِني هذا العبدَ الطائعَ...

فقال : يا موسىٰ! إني لم أَفْضَحْهُ وهو

يعصيني ، أأفضحُه وهو يُطيعُني؟!

يا موسىٰ : إني أُبْغِضُ النَّمّامينَ ، أَفأكونُ نَمّاماً!؟

* * *

قصة الجرّة!!

في صحيح البخاري حكايةٌ نبويّةٌ ، هذا نصّها :

« اشترىٰ رجلٌ من رَجُلٍ عَقاراً له ، فوجدَ الرجلُ الذي اشترىٰ العقارَ في عقارهِ جَرّةً فيها ذَهَبٌ .

فقال الذي اشترىٰ العقارَ : خُذْ ذَهَبَكَ منيّ ، إنما اشتريتُ منك الأرضَ ، ولم أبْتَعْ منكَ الذهبَ .

فقال الذي شَرىٰ ـ باع ـ الأرضَ : إنما بِعْتُكَ الأرضَ وما فيها .

قال : فتَحاكما إلىٰ رجلٍ .

فقال الذي تحاكما إليه : أَلَكُما وَلَدٌ؟

فقال أحدُهما : لي غلامٌ .

وقال الآخر : لي جارِيةٌ...

قال : أَنْكِحوا الغلامَ الجاريةَ ، وأَنْفِقوا علىٰ أَنْفُسِكما منه ، وتَصدَّقا » .

* * *

حكاية آية

عن عطاءِ بن أبي رَباح ، قال :

دخلتُ أنا وعُبيدُ بنُ عُمير علىٰ أمّ المؤمنين عائشةَ...

فقالتْ لعبيدِ بن عُمير : قد آن لكَ أن تَزورَنا...

فقال : أقول يا أُمَّهْ كما قال الأول : زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً...(١)

فقالت : دعونا من ذلك...

فقال ابنُ عُمَير : أخبرينا بأعجَبِ شيءٍ رأيتيهِ من رسولِ اللهِ ﷺ؟

---

(١) أي : زر أخاك وقتاً بعد وقت ، ولا تُكثر من الزيارة فيملّ منك...

فسكتتْ ، ثم قالت :

لما كان ليلة من الليالي ، جاءني ، ودخل معي تحت لحافي... ، ثم قال :

« يا عائشةُ! ذريني أتعبّدِ الليلةَ لربّي » .

قالت : قلتُ : والله إني لأحبُّ قُربَكَ ، ولكنّي أُوثِرُ هَواكَ .

قالتْ : فقام إلىٰ قِرْبةِ ماء ، فتطهَّرَ... وتوضّأ ، ثم قام يُصلّي ، فلم يَزَلْ يبكي حتىٰ بلّ حِجْرَه .

وركـع.. وأطـال الـركـوع.. وسجـد وأطـال السجود ، حتىٰ جاءه بلالٌ يؤذِنه بصلاةِ الفجر..

ولما انتهىٰ من الصلاة ، سألتُه : يا رسولَ الله! لمَ تبكي ، وقد غفر الله لكَ ما تقدّم ، وما تأخّر؟!

فقال عليه الصلاة والسلام : « يا عائشةُ! أفلا أكونُ عبداً شكوراً؟! وكيف لا أبكي ، وقد أُنزِلتْ عليّ الليلةَ آيةٌ... . ، ويلٌ لمن قرأها ، ولم يتفكّرْ فيها :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1] » .

* * *

(١) سورة آل عمران : / ١٩٠ / .

ماذا معكَ من القرآن؟!

وفي صحيح البخاري هذه الحكايةُ النبويةُ الهادفة :

عن سهلِ بن سَعْدٍ الساعديِّ رضي الله عنه ، قال : جاءت امرأةٌ إلىٰ رسولِ الله ﷺ ، فقالت : يا رسولَ الله! جئتُ أَهَبُ نفسي لك!

فنظر إليها رسولُ الله ﷺ ، فَصَعَّدَ النظرَ فيها وصَوَّبَهُ ، ثم طأطأ رسولُ الله صلوات الله عليه رأسَه .

فلما رأتِ المرأةُ أنهُ لم يقضِ فيها شيئاً ، جلستْ ، فقام رجلٌ من أصحابه ، فقال : يا رسول الله! إنْ لم يكن لكَ بها حاجةٌ ، فزوِّجْنيها!

فقال الرسولُ ﷺ : « فهل عندكَ من شيءٍ؟ » .

فقال : لا ، واللهِ يا رسولَ الله .

فقال الرسولُ ﷺ : « اِذهبْ إلىٰ أهلكَ ، فانظر هل تَجِدُ شيئاً؟ » .

فذَهَبَ ، ثم رجعَ ، فقال : لا ، واللهِ ما وجدتُ شيئاً!

فقال رسول الله ﷺ : « انظرْ ولو خاتمٌ من حديد » .

فذهبَ ، ثم رجع ، فقال : لا ، والله يا رسولَ اللهِ ، ولا خاتمٌ من حديد ، ولكنْ هذا إزاري فلها نِصْفُه!!

فقال رسول الله ﷺ : « ما تصنعُ بإزارِكَ؟ إنْ لبسْتَهُ لم يكن عليها منه شيءٌ ، وإنْ لبسَتْهُ لم يكن عليكَ منه شيءٌ » .

... . فجلسَ الرجلُ حتىٰ طال مَجْلِسُه ، ثم قام ، فرآه رسولُ اللهِ ﷺ مُوَلِّياً ، فَأَمَرَ به فدُعِيَ .

فلما جاء ، قال رسولُ اللهِ ﷺ : « ماذا معكَ من القرآن؟ » .

قال : معي كذا ، وسورة كذا ـ عددَّها ـ...

فقال الرسول ﷺ : « تقرؤهنّ عن ظَهْرِ قلبِك؟ » .

قال : نعم .

فقال ﷺ : « اِذهبْ فقد زوجتُكَها بما معكَ من القرآن » .

* * *

الفقر.. كفر!!

ركب (خالدٌ بن عبد الله القَسْريُّ) في يومٍ شديدِ البردِ ، كثيرِ الغَيمِ .

... فتعرَّضَ له رجلٌ في الطريق .

فقال له : ناشدتُكَ اللهَ إلا ضربتَ عنقي!

فقال له : أكفرٌ بعد إيمانٍ؟

قال : لا .

قال : أفترغبُ عن طاعةِ الله؟

قال : لا .

قال : أفقتلتَ نفْساً؟ قال : لا .

قال : فما سببُ ذلك؟ قال : لي خَصْمٌ لَجوجٌ قد عَلِقَ بي ، ولَزِمَني وقَهَرَني!

قال خالد : مَنْ هو؟ قال : الفقر!

قال : فكم يَكْفيكَ لِدَفْعِه؟ قال : أربعةُ آلافِ درهمٍ .

فقال خالدٌ لغلامِه : إدفعْ له أربعةَ آلافِ درهم .

ثم التفتَ إلىٰ مَنْ معهُ ، وقال : هل ربحَ أحدٌ من التجّار كرِبحي اليومَ؟

قالوا : وكيفَ ذلك؟

قال : عزمتُ علىٰ أن أُعطيَ هذا الرجلَ ثلاثين ألفَ درهم ، فلما طلبَ أربعةَ آلافِ درهم ، وَفَّر عليَّ ستةً وعشرينَ ألفَ درهم!

فلما سمعَ الرجلُ ذلكَ منه ، قال : حاشاكَ وأعيذكَ بالله أن تَربَحَ علىٰ مُؤَمِّلك .

فضحك خالد ، وأعطاه ثلاثين ألفاً ، ثم قال له : إذا عاد خَصْمُك إليه ، فاستَنْجِدْ بنا..!!

* * *